

مفاهيم القرآن

(34) غيره، وعند ذلك لا ينتزع منه التكليف الجدي، وذلك كالتعجيز في الآية السابقة، وكالتسخير في قوله سبحانه: (كُونُوا قِرَدَةً خَاسِئِينَ) (1) والالهانة مثل قوله: (ذُقْ إِزْكَ أَزَّتِ الْعَزِيزُ الْكَرِيم) (2)، أو التمني مثل قول أمرى القيس في معلّقه: ألا أيّسّها الليل الطويل ألا انجلي بصُبحٍ وما الاصبحُ منكُ بأمثلٍ إلى غير ذلك من الغايات و الحوافز التي تدعو المتكلم إلى التعبير عن مقاصده بصيغة الامر وذلك واضح لمن ألقى السمع وهو شهيد. 3. (يَوْمَ يُكْشَفُ عَنْ سَاقٍ وَيُدْعَوْنَ إِلَى السُّجُودِ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ* خَاشِعَةً أَبْصَارُهُمْ تَرَاهُمْ هَقُّهُمْ ذُلُّهُ وَقَدْ كَانُوا يُدْعَوْنَ إِلَى السُّجُودِ وَهُمْ سَالِمُونَ). (3) استدللّ بها الشيخ الأشعري على مقصوده، وقال: إذا جاز تكليفه إياهم في الآخرة بما لا يطيقون، جاز ذلك في الدنيا. والحق أن الإمام الأشعري وأتباعه لا سيما الفطاحل منهم أجلّ من أن يجهلوا هدف الآية ومغزاها، إذ ليست الدعوة إلى السجود فيها عن جدّ وإرادة حقيقة، بل الغاية من الدعوة إيجاد الحسرة في قلوب المشركين التاركين للسجود حال استطاعتهم في الدنيا، والآية بصدّد بيان أنّهم في أوقات السلامة والعافية رفضوا الانصياع و الامثال، وعند العجز - بعد ما كشف الغطاء عن أبصارهم ورأوا العذاب بأُمرٍ أعينهم - همّوا بالسجود ولكن أنّى لهم ذلك. وإليك توضيح الآية بمقاطعها الثلاثة: أ: (يوم يُكْشَفُ عَنْ سَاقٍ) كناية عن اشتداد الامر وتفاقمه، لأنّ الانسان _____ (1) البقرة: 65. (2) الدخان: 49. (3) القلم: 42- 43.